بريد الجمعة

أثر المعارف الرقمية

بريد الجمعة

الجمعة ٢٢ يناير ١٩٩٩

يكتبه: عبد الوهاب مطاوع

# الشاهد !

**أنا** شاب عمري ٢١ عاما اعمل في وظيفة مناسبة بشركة محترمة وبمرتب معقول، وقد تزوجت منذ ٥ سنوات من فتاة احببتها .. وتمنيت أن أسعد بحياتي معها وان أسعدها .. ووفقني الله في اعداد مسكن مجهز بالتليفزيون والثلاجة والغسالة الاتوماتيك، واصبح بيتا جميلا في عين كل من يدخله، ويلمس بساطته وتناسقه والذوق السائد فيه.

وحين انتهيت من اعداد هذا المسكن الصغير قلت لنفسي انني قد جهزنا «المكان» ولم يبق إلا ان نبعث فيه دف، السعادة والود المتبادل والعشرة الحلوة، واقبلت على حياتي الجديدة مفعما بالآمال والرغبة القوية في السعادة، لكنني لم احظ بشيء من ذلك للاسف، لان زوجتي غير راضية عما اتيح لنا من أسباب، واعيش في نكد مستمر منها، ومن أهلها الذين يناصرونها على طول الخط ظالمة ومظلومة، وكذلك بسبب نصائح أمها لها بأن كل ما عليها أن تفعله حين تتشاجر هو أن تضع «ماكياجها» كاملا على وجهها، وترتدي أحسن قميص لديها.. وتفتح جهاز التسجيل على اعلى صوت له وكأنها تقول للجميع انه لا يهمها زوجها في شيء!

اما في مناقشاتنا فهي لا تلتزم الأدب معي ويرتفع صوتها علي، وتنطق بألفاظ غير محترمة مما يجبرني وانا الرجل الهادئ، المصلي الذي يشهد له الآخرون بحسن خلقه على الرد على اهاناتها.

وحتى بعد ان انعم الله علينا بالولد استمرت والدتها تؤلبها على وعلى اخوتي الذين يكنون لزوجتي الحب وذلك لكي تقطع علاقاتها بهم بالرغم من انهم يقيمون في أطراف المدينة ولا يزورونا كثيرا.

وحين بلغ ابني من العمر عامين ونصف العام اصبح للمشاكل بيننا شكل آخر وعند حدوث خلاف بيني وبينها خلال الليل فانها بدلا من أن تحتوي المشكلة لكيلا يصحو الطفل من نومه، فإنها توقظه لكي يشهد «الخناقة» بيني وبينها ويكون «شاهدا» على ما يجري بيننا فلا يملك الطفل الصغير إلا أن يبكي ويرتجف من الخوف والفزع، وفي بعض الأحيان قد لا تكتفي بايقاظه فقط، وإنما تضربه ايضا لكي ينشأ «معقدا» مثلها كما تقول لي.

ومنذ بضعة اسابيع طلبت مني ان نذهب الى بيت اهلها لحضور حفل عيد ميلاد احد اخوتها.. واعترضت على ذلك لمرضها بسبب الحمل، فذهبت الى اهلها غاضبة .. واستبقاها الأهل لديهم بغير أن يرشدها أحد منهم الى الصواب وأيدوها على طول الخط كعادتهم معها، وكان شرطهم لعودتها للبيت أن يتنازل اهلي عن دين لهم اقترضته منهم لعلاجها عقب الولادة من مرضها.. والا التزم بدفع اقساطه، لأن ذلك كما يقولون يؤثر على حياة ابنتهم.

انني اكتب اليك الآن لكي اقول لك إنه لا احد يطلب التفاسة لنفسه او يتمنى الفشل في الزواج، لكن ظروف الحياة قد تضطرنا في بعض الأحيان الى ان نفعل مالا نتمناه لانفسنا.. فأنا مثلا لم اكن اتصور ان يجيء اليوم الذي افكر فيه جديا في الطلاق، وهدم بيتي وتمزيق طفلي الصغير بيني وبين امه.. ويكدر على حياتي الآن التفكير الدائم في مصير هذا الطفل البريء، ومصير الجنين الذي لم يات الى الحياة بعد.. فماذا افعل ياسيدي .. وماذا تقول لهذه الزوجة ولاهلها الذين يناصرونها دائما ضدي؟!

**● ولكاتب هذه الرسالة أقول:**

نعم ياصديقي لا احد يطلب التعاسة لنفسه او يرغب بصدق في حرمان اطفاله من سعادتهم، وأمانهم بين أبويهم، لكن السعادة لا تتحقق بالتمني وحده ولا بالرغبة السلبية فيها، وانما تتحقق كذلك بالعناء.. وبالصبر على بعض المكاره.. والتعالي على الصغائر، والتحلي بالمرونة الضرورية في بعض الأوقات، وإلا تحولت العلاقة بين كل زوجين الى علاقة صراع لاعلاقة تفاعل وتحاور وتنازلات متبادلة وحرص مشترك على حماية الحياة الزوجية من الانهيار.

بل إننا نحتاج في بعض الأوقات لكي نحافظ على سفينة الحياة طافيه فوق سطح الماء إلى أن نستعير من العلوم السياسية بعض قواعد فن ادارة الأزمات ونطبقها بحكمة على حياتنا الخاصة، ومنها ان نعرف متى نتراجع عن ارادة او رغبة لا يؤدي التمسك المتحجر بها للنهاية إلا إلى انفجار الموقف وتقطع الخيوط بيننا وبين الآخرين.. وان نكون مستعدين في بعض الأحيان للقبول بالحلول الوسط بديلا عن الحلول المثلى المثلية لكل رغباتنا وشروطنا، وان نتجنب الاستجابة لاستفزازات الآخرين، ونفوت عليهم الفرصة لدفع الأمور بيننا وبينهم الى الطريق المسدود..

وما تشكو منه من مشاحنات بينك وبين زوجتك ومناصرة أهلها لها ضدك.. وما تتصوره من تحريض امها لها عليك، وتصائدها غير المتكيمة لها بشأن التعامل معك في وقت الخلاف، كل ذلك مما يمكن احتواؤه واصلاحه وتخفيف اثاره السلبية.. والصبر على مكارهه.. اذا انعقدت ارادتك وإرادة زوجتك على إنقاذ سفينتكما من الغرق، وإنقاذ طفلكما الصغير من الشقاء وطفلكما المقبل من المصير المجهول.. وتحديد الهدف الذي يستحق ان يسعى إليه الانسان بكل ما يملك من جهد وطاقة يؤدي به بالضرورة الى استبعاد الوسائل التي لا تعينه على بلوغ الهدف.. واتخاذ كل الوسائل التي تقربه منه.. فاذا اتفقنا على ان الهدف الأساسي لك ولزوجتك ينبغي ان يكون انقاذ حياتكما الزوجية من الانهيار وطفلكما والجنين القادم من عالم الغيب مما يتهددهما من تمزق وحيرة وضياع إذا حدث الانفصال بينكما، فان ذلك يفرض على كل منكما أن يتنازل عن كل «الأهداف الصغيرة» الأخرى له كهدف الانتصار الرخيص في معركة قهر ارادة الطرف الآخر واملاء الرغبات وفرض الشروط وان يركز جهده على كل ما يقرب وليس ما يفرق بينكما.

وقديما قال الأديب الانجليزي لورد جون اوبك افبري، ان الفشل الشريف خير من الفوز الرخيص، وتطلع كل منكما الآن في هذا الموقف المتأزم لفرض ارادته على الآخر دون اي تنازل من جانبه وإلا وقع الانفصال ولن يكون اذا تحقق على حساب مصير طفلكما وجنينكما سوى فوز رخيص، الفشل في تحقيقه اشرف كثيرا من النجاح فيه.

وفشل كل منكما الآن في املاء رغباته على الآخر اذا كانت نتيجته الحتمية هي توصلكما معا لحل وسط واستعادة الوفاق بينكما وعودة طفلكما للحياة بينكما بلا قلاقل ولا اضطرابات هو عين «الفشل الشريف» الذي يحق لكل ذي قلب حكيم منكما ان يفتخر به ويحتسبه من فضائله وليس من مواقف ضعفه او هزائمه.

ولهذا كله فاني ادعوك انت وزوجتك واهلها الى كلمة سواء تتوصلون معها بإذن الله الى تبديد غيوم الخلاف والشقاق بينك وبين زوجتك واعادة الأمان والاطمئنان لحياتكما وطفلكما وجنينكما المقبل مع رجائي الحار لزوجتك إذا ما نشب بينكما في المستقبل اي خلاف - أن تعفي طفلكما البريء من «الشهادة» عليه.. وان تؤمن مع العقلاء والرحماء من الآباء والأمهات بان أثمن ما يقدمه اب وام لأطفالهما ومهما يكن نوع العلاقة بينهما، هو طفولة سعيدة خالية من الآلام .. والأحزان .. والمؤثرات السلبية الكريهة، وليست طفولة معذبة شقية حافلة بمثل هذه «الشهادات» اللا انسانية!